



عندما تكون العافية عقاباً

إبراهيم يحيى أبو ليلي

من أعجب ما سمعت ، ما حدثني به أحد الأصدقاء أن سيدة اتصلت ببرنامج الإفتاء بالإذاعة ، و ذكرت الشيخ أنها لم ت تعرض منذ سنوات عديدة ، و على الفور سألهما الشيخ عن جرم فعلته فقالت نعم ذهبت أنا و زوجي في سنة من السنوات لأداء مناسك الحج ، و كانت معنا والدة زوجي فسول لي الشيطان في زحمة الجمرات أن أدفعها لتقع أرضاً فتدفعها تحت أقدام الحجاج و لا يعلم أحد بذلك ، و فعلاً وضعت قدمي بين قدميها فتعثرت و وقعت و ماتت بالفعل تحت أقدام الناس (و لم يعلم أحد بذلك إلا الله) ، و منذ ذلك اليوم لم أصب بأي مرض و لم تصبني حتى الوعكة.

فقال لها الشيخ : استغفري الله و تبوي إلية توبة نصوحاً لعل الله أن يتتجاوز عنك ، فهذه العافية التي أنت فيها بسبب ذلك الذنب العظيم .. انتهى ..

فسبحان الله إن لله أموراً تغير عقل الحليم فالإنسان دائمًا ما يطلب العافية و رأى الله لم يوعك و لو وعكة خفيفة فعليه أن يراجع نفسه ، فإن المؤمن مبتلى في ماله و ولده و جسده لأنه كما قال رسولنا الكريم (إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضى و من سخط فعليه السخط) .. نسأل الله أن لا يسلط علينا و أن يجعلنا من الراضين بقضائه و قدره فذلك من صفات المؤمنين بل أنه ركن من أركان الإيمان (الإيمان بالقضاء و القدر خيره و شره) و على المؤمن أن يسلم بهذا ..

ويقال إن فرعون الطاغية مكث أربعين عاماً لم يصب بمرض فهل كان عزيزاً على الله؟! .. أبداً بل كان ذلك استدراجاً من الله سبحانه له حتى يطغى و يتکبر ؛ حيث قال في عنجية و غطربة (أليس لي ملك مصر و هذه الأنهرات تجري من تحتي أفلأ تبصرون) و عندما أراد الله عقابه أخذ عزيز مقدر ..

و كثير من العباد والأقوام الذين قص الله سبحانه و تعالى قصتهم لنا في كتابه ، قد أبطرتهم النعمة و العافية حتى قالوا "من أشد من قوة" ، فرد الله عليهم منها لهم (أ ولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) و بعد تكبرهم و غرورهم أتاهم الله من حيث لا يشعرون.

إن أكثر من يبتلي في هذه الدنيا هم الأنبياء ثم الأمثل فالآمثل لمحاتهم عند الله ، و حين سئل الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم "هل يوعك كما يوعك بقيمة الناس؟" ، فأخبر صلى الله عليه و سلم بأنه يوعك كوعكة الرجلين و هو من هو في مكانته عند ربه ..

و نحن في هذه الدار معرضون للبلاء و الاختبار ، ليعمل الله صدق يقيننا و صبرنا على الصعب ، فإنها دنيا جبليت على التعب و النصب و التمهيد و لقد قال الله سبحانه و تعالى مخبراً عن حال بعض الناس (و من الناس من يعبد الله على حرف فإن أصحابه خير اطمأن به و إن اصابته فتننة انقلب على وجهه خسر الدنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين).

إذن علينا أن نطلب من الله العافية و إذا أصابنا عارض من مرض فعلى الإنسان أن يتحلى بالصبر و يسلم الأمر بيد من لا يغفل و لا ينام سبحانه و هو القيوم على كل شيء .

و ليعلم من يرقدون على الأسرة البيضاء أن الله أرحم بهم من أنفسهم و هو أعلم بالآلام و أوجاعهم و بما ينفعهم و يصلح شأنهم في عاقبة أمورهم فإن الله حليم رحيم بعباده ، و الآخرة خير و أبقى .

و كما قيل (لو علم الإنسان ما في الغيب لاختار الواقع) و لكن الإنسان خلق هلوعاً جزوياً قليل الصبر على البلاء .. فالبلاء هو طريق الأنبياء و الصالحين المخلصين من عباد الله ، فعلى المرء الصبر و الاحتسب و لا يمنع أن يطلب الإنسان العفو و العافية من الله فقد أمرنا الإسلام بذلك و الصبر أولى و أحسن إذا أصيب الإنسان بمرض أو نقص في الأموال و الأنفس و الثمرات فإنه تنبيه من الله سبحانه لعباده لكي يعودوا إلى الجادة ، و ذلك رحمة بهم و حدب عليهم و هو الغني عنهم و هم إليه فقراء ..

فالله أرزقنا شكر نعمك و آلاتك فإننا ضعفاء فارحمنا و تولى أمننا و أحسن خلاصنا و لا تعاملنا بما نحن أهله و عاملنا بما أنت أهله فإنك أنت أهل التقوى و أهل المغفرة و ارزقنا الصبر على البلاء و عيش السعداء و موت الشهداء و النصر على الأعداء و اشف اللهم مرضانا و عاف مبتلانا و ارحم موتانا و تجاوز عن خططيانا .. وصل اللهم على عبدك و نبيك محمد و على آل الله و صحبه و سلم.

"إبراهيم يحيى أبو ليلي"